علاقة التّصريف بالظواهر اللغويّة الأخرى

أ- علاقة التّصريف بالقلب المكاني

يقصد به التغيير في مواضع الصوائت والصوامت بتقديم بعضها على بعض أو تأخيره. فكلمة مثل (يئِسَ) قدّمت العرب الهمزة على بقيّة أحرفها فصارت (أيسَ)، فوزنها لا يبقى على حاله، بل لا بدّ له من أن يتغير. لذلك نقول: إنّ القلب المكاني في الموزون يقابله القلب المكاني نفسه في الميزان، فنقول في (يئِس) (فَعِلَ)، وبعد قلبها إلى (أيس) يصبح وزنها (عَفِل)، لأنّ الهمزة إذا كانت (عين) الفعل تقدّمت على الفاء.

ومن الأمثلة على القلب كلمة (طَاغوتٌ)، فقد يُظَنُّ لأوّل وَهْلة أنّ وزنها (فَاعُولٌ)، ولكن الحقيقة أنّه مأخوذٌ من (الطّغيان)، فهو من الفعل (طَغَى يَطْغَى) فأصل الألف فيه (ياء) لأنّ الكلمةَ كانتْ قبل القلب (طَغَيوتٌ)، ثمّ قُدِّمتِ (الياءُ) على الغين فصارتْ (طَيَغُوتٌ = فَلَعوتٌ)، ثمّ أُعِلَّت الياء ألفاً لأنها وقعت متحرِّكة وقبلها فتح فصارت (طاغوت = فَلَعوت)، ومثاله أيضاً كلمة (هارٍ) في قوله تعالى: ﴿أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التّوبة ٩: ١٠٩]. فكلمة (هارٍ) مأخوذة من (هارَ يهورُ) أو (هارَ يهيرُ)، فعين الكلمة واويّة أو يائيّة. وأصل (هارٍ = هاوِرٌ أو هايِرٌ) على وزن (فاعِل)، ثمّ قُدِّمت الراء على الياء – هاريٌ = فالِعٌ، ثمّ حُذفت الياء وعُوِّض عنها بالتّنوين كما فُعِل في كلمة (قاضٍ)؛ لأنَّه اسم منقوص، فصار (هارٍ) ووزنه (فالٍ)؛ لأنّ العين حُذِفت.

ويكون القلب المكاني على أنواع، هي:

١- تقديم لام الكلمة على عينها، فيقولون في (رأى): (راءَ = فَلَع)، وفي (ساءَ): (سأى = فَلَع)، وفي (نأى = فَعَل): (ناءَ = فَلَع). ومنه قولهم في جمع قَوْس: قِسيّ فوزنها (فلوع).
٢- تقديم اللّام الأولى على العين، فقالوا في (غُضْروف = فُعْلول): (غُرْضوف = فُلْعول).
٣- تقديم اللّام الثانية على الفاء، فقالوا في (تزحزحت عن المكان): تحزْحزتُ = تَلَفْلَعتُ.
٤- تقديم العين على الفاء، فقالوا في (يئس = فَعِل): (أَيِس = عَفِل).
٥- تقديم اللّام على الفاء، فقالوا في (الواحد = الفاعل): (الحادي = العَالِف).
٦- تقديم اللّ ام على الفاء، ومثاله كلمة (أشياء = لَفْعَاءُ).

ب- علاقته بالإبدال

والإبدال "إزاحة حرف صامت غيرِ معلولٍ، ووضع آخر محلّه" فهو –كما يبين التعريف السابق– التبدّلاتُ الحاصِلة بين الحروف الصّامتة والصّائتة، أي الأحرف غير المعلّة فهو ذو مدلول أوسع من الإعلال. وستكون لنا وقفة مفصّلة مع ظواهره.

ت- التّصريف وظاهرة الإدغام

- الإدغام (Assimilation) في اللُّغة: الإدخال.
- الإدغام = الإفْعال مصدر (مذهب الكوفيين)
- الادّغام = الافتعال مصدر (مذهب البصريين)

الإدغام في الاصطلاح: هو نطق حرفين من مخرج واحد بلا فاصل بينهما، فيرتفع بهما اللسان وينحطّ دفعة واحدة، وهو يدخل كل الحروف ما عدا الألف اللينة. وله حالات من جهة تأثر الميزان الصَّرفي به، هي:

١. لا يؤثّر الإدغام في الميزان إذا كانَ الحرفان المدغمان أصليَّين، مثال: شَدَدَ = شدَّ = فَعَل، يَشَمُّ = يشْمَمُ = يفْعَل، أَسِنّة = أَفْعِلَة، شَاذٌّ = فَاعِلٌ.
٢. لا يؤثّر الإدغام في الميزان إذا كان الحرفان من كلمتين: السَّهْلُ = الفَعْلُ، الشَّمْسُ = الفَعْلُ، مُحَارِبي – مُحَارِبويّ = مُفَاعلويّ، مُعَلِّميّ = مفعِّلوي، أَمِنّا = فَعِلْنا، اجْبَهْهُ – اجبهْ/هُ = افْعَلْهُ.
٣. إذا كان الحرفان من لفظ واحد وجب ظهور أثر الإدغام مثل: مجاوريّ = مجاوريي = مفاعليّ.
٤. لا يؤثر الإدغام في الميزان إذا كان الحرفان المدغمان حرفي علة، نحو: عليّ = عَلِيوٌ = فَعِيل، أبيٌّ = أبييٌ = فَعيل، عدوّ = فَعُولٌ، بغيّ = بَغُويٌ = فَعُولٌ، أو: بغيّ = بَغِيْيٌ = فَعِيل، قَصِيّ = قَصُويٌ = فَعُولٌ = التقت الواو والياء من قَوِيّ = قويوٌ = فَعيل.
٥. إذا كان أحد الحرفين المدغمين زائداً تكراراً لحرف آخر ظهر أثره في الميزان، نحو: قَرَب = قرّب = فَعّل، تجوّل = تَجَوْوَل = تَفعّل، امْلاسّ = افعالّ، اطْمأنَّ = افعَلّ.

ث- علاقته بعلم النَّحو

يُعْنى الصَّرف بالعلاقات الشّاقولية، أي بمعرفة الحروف الأصلية والزائدة، والمشتق والجامد، وتحديد أشكال الصيغ، وحصر اللواحق ومواضعها، والزيادات ومواضع زيادتها، وما يلحق الصّيغة من إعلال وإبدال وحذف وقلب، وكلها يندرج تحت مسمّى (العلاقات الجدولية). وهذا ما يجعلنا نسميه نظاماً انعزالياً أي يعنى بالكلمة مستقلة عن التّركيب، غير مرتبطة بالسياق. في حين أن النَّحو موضوعه دراسة العلاقات السياقية (Syntagmatic) فيدرس ما بين الألفاظ من روابط تركيبية، كالإسناد والتّخصيص بالمفعول، والتخصيص بالتبعية، ... وهذا ما يجعله نظاماً أفقياً.

ولكن ذلك لا يعني أن العلاقة منبتّة بين الصَّرف والنَّحو، إذِ الصَّرف يقدِّم للنحو الصِّيَغَ الَّتي يحتاجها، فالفاعل لا بدَّ أن يكون اسماً، والمفعولُ لأجلهِ يجب أن يكون مصدراً قلبيَّاً، والنعت يكون وَصْفاً ...

وتحديد المبنى الصَّرفي للكلمة هو الخُطْوة الأولى في شرحها، لأن "انعزال الكلمة معجمياً قد يكون بيئة صالحة للّبْس في معناها" أي أنّ الكلمة المنعزلة تكونُ مفتوحةً على احتمالات دلالية كثيرة، فإذا رُكِّبت في سياق معيَّن اتجه معناها اتجاهاً واحداً. فصيغة: (فَعْل) تحتمل المصدرية والصّفة المشبهة، نحو: عَدْل، و(أَفْعل) تحتمل صيغتي الفعل الماضي واسم التفضيل، ولذلك كان على المعجم أن يتّبع سبلاً في شرحها تبيِّن معناها الصَّرفي كالتّضام، فيقال مثلاً: الأحْسنُ: الزائد

في الحُسن، فيظهر من ذلك أن المقصودَ صيغةُ التفضيل بقرينة تضام (أل) مع الصّيغة وإذا قيل: أحسنَ إليه: عُرِف من التضام أن المراد الفعل، وهكذا.

نستنتج مما سبق أنّ المعنى معجمي في الكلمة المفردة، فإذا دخلت الكلمة في سياق ما، لم يعد معناها معجمياً، إذ السياق بما فيه من قرائن يرفد الكلمة المفردة بمعانٍ كثيرة جداً، فتعدد المعاني وانفتاحها وتحددها وانضباطها هو الفارق بين كلمة في معجم والكلمة نفسها في سياق ما. ولكنّ هذا الفصل بين مستويات دلالة مصطلح (الصَّرف) لا يُعفي من عدِّهما كلاً متماسكاً، على الرّغم من أنّ اهتمام الكتب الدراسية منصبٌّ على التّغيرات البنيوية ذات العلاقة بالدّلالة، أي على ما سمّيناه (اشتقاقاً)، وقلّة اعتنائها بالتّغيرات البنيوية للفظ المدروس، فالمستويان الأخيران لا يقلان أهمية عن المستوى الأول، لشدة دلالته على شدّة الصلة بين النظامين الصوتي والصَّرفي.

ج- علاقة علم الصَّرف بعلم الأصوات

يشمل الصَّرف أمرين، هما:

١- التغيير المرتبط بالدّلالة.

٢- التغيير غير المرتبط بالدّلالة.

فالصَّرف مرتبط بظواهر الإعلال، والهمز، والتضعيف، وهذه قضايا مرتبطة بعلم الأصوات، فيكون له بعدٌ جديد، هو البعد الصّوتيّ. فالفعل (شدّ) ومضارعه (يشدُّ)، وتحليله:

شدّ ← يَشْدُدُ ← يَشُدْدُ [إعلالٌ بنقل الضّمّة إلى السّاكن قبلها] فأدى ذلك إلى سكون الدال الأولى فالتقت مع الدال الثانية. وهذا يفضي إلى القول: إنّ تقدُّم الضّمّة في (يشدُدُ ← يشدْدُ) أدّى إلى تغير في ترتيب مقاطع الصّيغة. **ولنضرب على ذلك بعض الأمثلة على هذه العلاقة:**

الفعل (دنا)، ومضارعه (يدنو) – عند إسناده إلى ضمير المخاطبة المؤنّثة يصبح (تدْنين) والأصل فيه (تدْنِوين ← تدْنين). وإذا أسْندنا الفعل (بقي) إلى واو الجماعة ← بَقِيُوا ← بقوا فالتفاعل الحاصل بين (الياء =المد) وبين (الضمير=واو الجماعة) أدّى إلى تغيير في الكم الصوتي أيضاً. وهذه تغيرات ليس لها علاقة بالمعنى، وإنّما هي ذات علاقة بالصّوت فحسب، سواء من حيث الكمية الصّوتيّة أم من جهة الجرْس كما في تغير (اضْتَرب ← اضطرب)، فهذان أثران بنويان لا دليليان.

موضوع علم الصَّرف

تنقسم الألفاظ في اللُّغة العربيّة قسمين:

أ. ألفاظ ذات صيغ اشتقاقيّة، وتشمل الأسماء والصّفات والأفعال.

ب. ألفاظ ليس لها صيغ معينة، وتشمل الضّمائر، والظّروف، والحروف، والأفعال الجامدة (الخوالف: أسلوب التعجب – المدح والذم – أسماء الأفعال – أسماء الأصوات).

إنّ النّوع الأول (العناصر ذات الصيغ الاشتقاقية) هي موضوع التّصريف، فهي الخاضعة له لأنها هي القابلة للتحولات الداخلية والتطور، أما هذه الثانية (الألفاظ الّتي ليس لها صيغ معينة) فهي مبان تشكل جزءاً من النظام اللّغويّ العام وتشكل ثوابت لا تتغير ولو أن لها دلالة معينة مخصوصة.

وهذا يعني أنّ التّصريف لا يدخل إلّا الأسماء المتمكّنة والأفعال المتصرفة ويمكن إجمال ما لا يدخله التّصريف بما يأتي:

١. أسماء الأعلام الأعجمية: أزدشير، روماندو، كريستيان.
٢. أسماء الأصوات مثل: عا (نداء دعوة للماعز)، غاقِ (اسم صوت الغُراب)، نِخْ (للجمل)، عدَسْ (زجر للحمار أو البغل).
٣. أسماء الأفعال: صَهْ – مَهْ – آمين.
٤. الأفعال الجامدة: بئس – نعم – ليس.
٥. الحروف: في، من.
٦. الأسماء المتوغلة في البناء لشبهها بالحروف: مَنْ – ما.

الأصلي والزائد من الأصوات

أو (حروف الزيادة)

ذكرنا من قبل أنّ بنية الكلمة تعتمد على تركيب الأصوات الصائتة والصامتة تركيباً معيناً مضبوطاً بأوزان نصّ عليها علماء الصَّرف. وهذه البنيات موزّعة على أصوات ثابتة في بنية الكلمة وأخرى متغيرة. أما الثابتة فهي الَّتي يطلق عليها الحروف الأصلية، ويُطلقُ عليها علماء الأصوات (الصّوامت)، مثل (الباء، والكاف، والقاف...)، وأما القسم الثاني فهي (الصّوائت)، أو ما يسمّى في مصطلح علم الصَّرف (حروف العلة)، وهي (الألف، والواو، والياء).

ولما استقصى علماء التّصريف الأصوات الَّتي يمكن أن تزاد على الجذر الأساسي للكلمة في سبيل إيجاد صيغة جديدة لمعنى جديد، وجدوا أنّ هذه الأصوات الزّائدة تنحصر في عشرة أحرف جمعوها في كلمات هي (أمان وتسهيل) أو (سألتمونيها) أو (هويت السمان). وقد جمعها بعضهم في بيت من الشِّعر فقال: [الطّويل]

سألتُ الحروفَ الزائداتِ عن اسمها فقالت ولم تبخل: <u>أمانٌ وتسهيلُ</u>

وقال آخر: [المتقارب]

<u>هَوَيْتُ السِّمَانَ</u> فَشَيَّبْنَنِي وَمَا كُنْتُ قِدْمًا هَوَيْتُ السِّمَانَا

فحروف الزيادة هي: الهمزة، والسين، واللام، والميم، والواو، والياء، والألف، والهاء، والنّون.

تنقسم الزيادة إلى نوعين:

- **زيادة بتكرار أحد الأحرف الأصول في الكلمة:** وهذا النّوع من الزيادة يعمّ أحرف العربيّة كلّها، فلا يختصّ بما ذكر من أحرف الزيادة المجموعة في (سألتمونيها)، مثال ذلك:

- مُهنّد: مفعّل، أصله الثّلاثيّ (هَنَد)، كُرِّر الحرف الثاني وهو النّون، وهذا تكرار لحرف أصلي.
- اسودّ: افْعَلَّ، أصله الثّلاثيّ (سَوِد)، الحرف الثالث (الدال) وهو ليس من أحرف الزيادة.
- تجرّأ: تفَعَّل، أصله الثّلاثيّ (جَرَأ)، كُرِّر الحرف الثاني (الراء)، وهو تكرار لحرف أصليّ.

أما الكلمات مثل: (انْفَضّ) ووزنها (انْفَعَلَ) فليس فيها زيادة بتكرار حرف، والإدغام حصل في حرفين متماثلين هما (الضّاد) لأنّ الأصل الثّلاثيّ هو (فضض) فالتضعيف ليس زيادة، ولكنه إدغام لحرفين أصليين هما (الضّادان).

ومثل ذلك كلمة (حارٌّ)، فوزنها (فَاعِلٌ) فما نجده من إدغام ليس تكراراً لحرف أصليّ، ولكنه إدغام جرى لحرفين متماثلين، فنُطِقا نُطْقاً واحداً بغية التخفيف.

ولا يُحكَم على المكرّر بالزيادة إلا إذا استُوفيتِ الأصولُ الثلاثةُ بالنسبة إلى الكلمة الثّلاثيّة، والأصول الأربعة بالنسبة إلى الاسم الرباعيّ، والأصول الخمسة بالنسبة إلى الخماسيّ.

- **الزيادة بغير تكرار الحرف الأصليّ:** وهذه الزيادة هي المقصودة عند الإطلاق، وتنحصر في أحرف الزيادة العشرة المجموعة في كلمة (سألتمونيها) ولا يُحكَم على هذه الحروف بالزيادة حيث وُجدت، فقد تكون كلمة ما مؤلفة من عدة أحرف من الأحرف المذكورة، ولا تكون محكوماً عليها بالزيادة ولنمثّل على ذلك بأمثلة:
  - هَوَى: فِعْلٌ ماض وزنه (فَعَل) والأصل (هَوَي)، أُعِلّت الياء ألفاً لوقوعها متطرفة بعد فتح. وهذه الأحرف كما يلاحظ هي جميعها من الحروف المذكورة في أحرف الزيادة، ولكن ليست زائدة في الحقيقة لأنها تشكل الجذر اللّغويّ الثّلاثيّ للكلمة.
  - هَتُون: فَعُول: قد يُظنّ أنّها كلّها زائدة؛ لأنّها من حروف (سألتمونيها) ولكنّ الحقيقة أنّ الزّائد فيها هو (الواو) فحسب، لأنّ الجذر الثّلاثيّ (هَتَن) بمعنى السّقوط الغزير للمطر.

وأكثر الأصوات زيادة هي أصواتُ المد (الواو، والياء، والألف). وضابط معرفة زيادتها أن توجد في كلمة مع ثلاثة أحرف أصول فأكثر، مع عدم وجود تكرير في الكلمة، وذلك نحو: قَتيل، قَاتل، مكْتوب.

أمّا ما لا يُعَدّ من أحرف الزيادة في الكلمة فكلٌّ مما يأتي:

- ❖ (ال) التعريف: فنحو: العلم، الكبير، العظيم، الدرهم، الصندوق، لا تُعَدّ (ال) في عداد الأحرف المزيدة.
- ❖ تاء التّأنيث: نحو: شجرة، سَفَرْجلة، زلزلة، فالتاء الدالة على جنس التّأنيث ليست من حروف الزيادة.
- ❖ ياء النسب: قَوْميّ، بَلدَيّ، حَمَويّ، فكلها أسماء مجردة لا زيادة فيها، لأن ياء النسب ليست من الحروف الزوائد.
- ❖ ياء التصغير: دُرَيهِم، شُوَيْعر، بُلَيبِل، سُهَيل، كُتَيِّب.
- ❖ علامتا التثنية والجمع: نحو: كتابان، دارسون، دارسات، كتابَين، دارسَين.
- ❖ ألف النُّدْبة وهاء السكت: نحو: وا زيداه، وا معتصماه.
- ❖ علامات الإعراب كلّها ما كان منها حركةً وما كان حرفاً، نحو: زيدٌ، فالتّنوين ليس حرفاً زائداً، أبوك: الواو علامة الرّفع في الأسماء الستة، فلا تُعَدّ من أحرف الزيادة، أخاك: الألف علامة نصب في الأسماء الستة، فلا تُعَدّ من أحرف الزيادة.

فالحكم على اسم ما لحقته إحدى الزوائد المذكورة سابقاً لا بدّ فيه من إرجاعه إلى الأصل الَّذي كان عليه قبل لحاقها به. فكلمة (معلِّمون) نعيدها إلى مفردها (معلِّم) ثم نحكم عليها بالزيادة أو عدم الزيادة، وكلمة مثل (شُوَيْعر) تصغير (شاعر)، نردها إلى مكبَّرها أي الاسم قبل تصغيره ثم نحكم عليه.

أمّا الأفعال فلا يُحكم بالزيادة على ما يلحقها مما يأتي:

١. تاء التّأنيث الساكنة (نجحَتْ، كتبَتْ)

٢. حروف المضارعة المجموعة في (أنيت) مثل: (يقوم، تكتب، نكتبُ، تَسْهر)، لأنّ حروف المضارعة في أول الفعل هي للدلالة على أمرين: زمن الفعل ونوع الفاعل.

٣. ضمير التثنية والجمع (يقومان، تقومان، تكتبون، يقمْنَ).

٤. ياء المؤنّثة المخاطبة، نحو (تجمعين، تفجعين، تعلمين)

٥. نونا التوكيد: (لأكتبنّ، لأكتبَنْ).

٦. همزة الوصل في أمر الثّلاثيّ المجرّد، نحو: اسبح، امرُرْ، ارجعْنَ.

وتتفاوت أحرف الزيادة من جهة شيوع زيادة بعضها أكثر من بعض، فالأصوات الصائتة (حروف العلة = الألف والواو والياء) هي الأكثر تداولاً والأرسخ في الزيادة ثم تليها الهمزة، والميم، والنّون، والتاء، وتأتي السين واللام بعد المجموعتين في كثرة الزيادة.

ولزيادة بعض الأحرف غايات ومقاصد كثيرة، منها:

- مَطْلُ[١] الصوت، كما في قولنا: كتابٌ، عمودٌ.
- التعويض عما يُحذف من الكلمة، نحو: اسْتعادة، إعادة، عِدة، زنة، اسمٌ، زنادقة.
- تكثير بنية الكلمة بزيادة عدد أحرفها، نحو: كُمَّثْرى (نوع من الثمار)، قَبَعْثَرى (الجمل الضَّخْم).
- التمكّن من الابتداء بساكن، نحو (اسمٌ) والزيادة هنا للتعويض عن الحرف المحذوف.
- الزيادة لمعنى، وهذا النّوع هو الأكثر شيوعاً بين أنواع الزيادة.

---

[١] – المطل: المدّ.

خطوات التّصريف

١- إذا كانتِ الكلمة المرادُ دراستُها صرفياً فعلاً يجب ردّها إلى:

- الفعل الماضي.
- المبني للمعلوم.
- المسنَد إلى المفرد الغائب المذكّر.

٢- إذا كانت الكلمة اسماً يجب ردّها إلى المفرد إن كانت جمعاً أو مثنى.

٣- تحديد نوع الاسم: هل هو اسم معنى أم اسم ذات؟

٤- مقابلة كل حرف من الكلمة اسماً كان أم فعلاً بحرف من حروف الميزان الصَّرفي.

٥- تحديد الأحرف الأصول من الحروف الزائدة.

٦- ضبط الميزان بحركات الموزون.

٧- تعيين التحّولاتِ الحاصلة في حروف العلة أو الإبدال الحاصل بين الحروف الصحيحة والمعتلة.

مثال: (رِيَاحٌ): جمعُ تكسير مفرده: (رِيْحٌ)، وهو اسمٌ دال على ذاتٍ، والأصل فيه (رِوْحٌ) لأنَّه من (راح، يروحُ)، فأصل يائه واوٌ، رِوْحٌ ← رِيح، رياح، الزيادة فيه الألف أعُلت الواو ياءً لوقوعها في المفرد ساكنة بعد (كسر) وحمل الجمع على ظاهر المفرد فقيل: رياح ولم يقولوا: رِوَاح.